ألفاظ الاستشراف في الأحاديث النبوية دراسة دلالية

م. د. عمار سعد الله رضا

كلية الإمام الأعظم الجامعة- نينوى

ملخص البحث

يقوم البحث على دراسة نماذج من ألفاظ الاستشراف في الأحاديث النبوية، دراسة دلالية، ودور هذه الألفاظ في تأكيد حتمية وقوع الأحداث المُسْتَشْرفة في هذه الأحاديث والأساليب التي استخدمت فيها، والتنبيه على المواقف التي يجب على الأمة أن تتخذها من هذه الأحداث، ومعلوم أن النبيَّ محمداً (ﷺ) هو أفصح العرب وسيد البلغاء والمتكلمين، ومن هنا فإن اختياره(ﷺ) لألفاظٍ بعينها في عرض أحاديث الاستشراف لعب دوراً مهماً في إعلام الأمة وتهيئتها للأحداث التي ستقع في قابل الأزمنة، هذا فضلاً عن إيمان الأمة بأن النبيَّ (ﷺ) لا ينطق عن الهوى وإنما يُحَدِّث بما أخبره الله تعالى إيّاه من الغيبيّات.

Abstract

The research on the study of patterns of words Prospective in the hadith , the study of semantic , and the role of these terms in the confirmation of the inevitability of the occurrence of events Almscservh in these conversations and methods that have been used, and the alarm on the positions that must be on the nation to be taken from these events , and is well known that the Prophet Muhammad ( )ρ is the most eloquent Arabs and master rhetoricians and speakers , hence) for the words given in the presentation of conversationsρthe choice (Prospective played an important role in informing the nation and prepare for events that will take place met the times , this as well as) does not speak of passionρthe faith of the nation that the Prophet (but what happens to him , God told him of the Occult .

المقدمة

الحمد لله عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على نبيه محمد سيد البلغاء والمتكلمين، الذي أيده الله تعالى بالوحي، وأتاه الحكمة ومفاتيح البيان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم القيامة بإحسان.أما بعد .فإنَّ فصاحة الرسول(ﷺ) وبلاغته ترقى إلى أعلى درجات الكمال في حسن التأتي للمعاني بأدق ما يمكن أن تؤديه المفردات والجمل من دلالات ومعان تقع في النفوس موقعاً بالغاً من التأثير ما لا تنقضي عجائبه ولا يذهب رونقه بتقادم العهد وكثرة التـرداد، وذلك أنَّ الرسول (ﷺ) يرسل الحديث سليقة وإلهاماً، سليماً مما يعتري كلام الناس من خلل أو اضطراب، أو إطناب ليس في موضعه، أو حشو يُنفِّر السامعَ منه. فكلام الرسول(ﷺ) كما يقول الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين): ((هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف،واستعمل المبسوط في مواضع البسط ،والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، وهو الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع

له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام)).ولا غرو أن الرسول(ﷺ) قد نشأ في أفصح القبائل، إذ كان مولده في بني هاشم، وأخواله من بني زهرة، ورضاعه في سعد بن بكر، ومنشؤه في قريش، لذا قال (ﷺ) عن نفسه: ((أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر))، فقد خصّه الله تعالى بالعناية الربانية، وهيّئه للاضطلاع بأعظم ما عرفته البشرية في تاريخها الطويل من رسالات، وفي قوم لهم في ميدان البلاغة والفصاحة القدح المعلى، فلابد أن يكون النبي المرسل إليهم أفضلهم بياناً وأقدرهم على التصرف في فنون القول، وأبعدهم عن عيوب الكلام زللاً واضطراباً واستكراهاً وفي ضوء هذا كله كان جديراً بالدارسين أن تكون لهم وقفة، بل وقفات متأنية متأملة عند فصاحة الرسول وبلاغته للكشف عن مواطن البراعة والدقة في فن القول في أرفع مستوياته.وقد اشتمل البحث على مقدمة بينت فيها دور فصاحة النبي(ﷺ) في اختيار ألفاظ بعينها لعرض أحاديث الاستشراف وبيانها للأمة، ثم تمهيد تعرضت فيه لمعنى الاستشراف لغة ومفهوماً واصطلاحاُ، ثم مباحث سبعة مقسمة حسب الألفاظ الدالة على الاستشراف، اشتمل المبحث الأول على نماذج من الأحاديث التي فيها عبارة (لا تقوم الساعة حتى) و (لتقومّنَّ الساعة)، ثم المبحث الثاني الذي اشتمل على نماذج من الأحاديث التي فيها عبارة (يوشك)، ثم المبحث الثالث الذي اشتمل على نماذج من الأحاديث التي فيها عبارة (في آخر الزمان)، ثم المبحث الرابع الذي اشتمل على نماذج من الأحاديث التي فيها عبارة (لا يدركني زمانٌ) و(ولا تُدركوا زماناً)، ثم المبحث الخامس الذي اشتمل على نماذج من الأحاديث التي فيها عبارة (يأتي على الناس زمان) و (ليأتِيَنَّ على الناس زمانٌ) و(وسيأتي زمان)، ثم المبحث السادس الذي اشتمل على نماذج من الأحاديث التي فيها عبارة (كيف بكم) و (كيف بك)، ثم المبحث السابع الذي اشتمل على نماذج من الأحاديث التي فيها عبارة (إنَّها ستكون)، ثم خاتمة بينت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج في البحث.وآخر كلامي .. فانه ليس لمخلوق أن يبلغ الكمال؛ لأنه لا يكون إلا للخالق الواحد المنزّه عن كل عيب، فما كان في هذا البحث من صواب فهو من توفيق الله تعالى ومَنّه وفضله عليّ ، وما كان فيه من خطأ فحسبي أنَّ هذا هو قَدْري ومبلغي من العلم، وإنَّما حاولت الإصابة ما استطعت، والله أسأل أن يتقبل مني ويحشرني في زمرة عباده الموحدين الصالحين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

التمهيد

قبل التطرق إلى الاستشراف لغة ومفهوماً واصطلاحاً لا بدَّ من الإشارة إلى أمر مهم يتعلق بقواعد العقيدة الإسلامية وهو أنَّ الله جلَّ جلاله قد استأثر بعلم الغيب عنده، فقد وصف نفسه بقوله:﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ (الأنعام:٥٩). وقوله: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(النمل: ٦٥). ومع ذلك فقد اقتضت حكمة الخلق العليم سبحانه أنْ يُطلعَ رسله (عليهم الصلاة

والسلام) على بعض الغيب فقال جلَّ شـــأنه:﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧ ﴾ (الجن: ٢٦ – ٢٧)[١]؛ ذلك أنَّ الرسلَ كما قال الشـــيخ عبد الرحمن السعدي (رحمه الله): ((ليسوا كغيرهم فإنَّ الله أيدهم بتأييدٍ ما أيَّده أحداً مـــن الخلـــق، وحفظ ما أوحاه إليهم حتى يُبلِّغوه على حقيقته)) [٢].

الاستشراف لغةً:

اسْتَشْرَفَ الشَّيْءَ : رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيْهِ ، وبَسَطَ كَفَّهُ فَوْقَ حَاجِبِهِ ، كَالْمُسْتَظِلِّ مِن الشَّمْسِ، وأَصْلُه مِن الشَّرَفِ : العُلُـــوّ، فإنَّه يُنْظَر إليه من مَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ ، فيكونُ أَكْثَـــرَ لإِدْرَاكِه، ومنه : فُلانٌ يتَشَـــرَّفُ إِبِلَ فُلانٍ ، أَي : يَتَعَيَّنُهَا [٣] ، ويقال أَشْرَفْتُ الشيءَ عَلَوْتُه، وأَشْرَفْتُ عليه اطَّلَعْتُ عليه من فـــوق، أَراد ما جاءك منـــه وأَنت غيرُ مُتَطَلِّع إليه ولا طامِع فيه. وقال الليث اسْتَشْرَفْتُ الشـــيءَ إذا رَفَعْـــتَ رأْسَك أَو بصَرك تنظر إليه. وأَشْرَفْت عليه اطَّلَعْتُ عليه من فوق، وذلك الموضع مُشْرَفٌ وشـــارَفْتُ الشيء أَي أَشْرَفْت عليه[٤].

الاستشراف اصطلاحاً:

تعددت الآراء في تعريف الاستشراف اصطلاحاً، وأهم التعريفات هي:

١. هو التطلع إلى المستقبل من خلال دراسة الماضي وفهم الحاضر والسنن الفاعلة فيه[٥].

٢. هو التطلع إلى الشيء سواء رافقه تعرض لسؤاله أم لا [٦].

٣. الوقوف على ربوة عالية لاستطلاع آفاق المستقبل، كل بحسب ما يسمح به ملء بصره وبصـــيرته، فالجهد الاستشرافي المستقبلي هو نوع من الحدس التاريخي المستند إلى قاعدة علمية[٧].

٤. هو مجموعة الدراسات والبحوث التي تهدف إلى تحديد اتجاهـــات الأحـــداث، وتحليـــل مختلـــف المتغيرات التي يمكن أن تؤثر في إيجاد هذه الاتجاهات[٨].

٥. هو ليس تنبئاً وتكهنا بالمستقبل، وإنما هو محاولة تكوين صورة واضحة عمّا يمكن أن يحدث، وذلك على أساس معلوماتنا عن الظروف الطبيعيّة والحيوية لعالمنا الذي نعيش فيه الذي نعيش فيه[٩] .

٦. هو رصد وإحصاء واسع للممكنات والفرص والاحتياجات والمشاكل المترقب حضورها، ومن أجل ذلك ينبغي استثمار معطيات ونتائج أكثر من علم واحد من العلوم الحديثـــة فـــي استكشـــاف معـــالم المستقبل[١٠] .

٧. إنَّ رؤية المستقبل جزء من تركيبتنا الخاصة كبشر، ونمارسها كلنا، ولكن بدرجات متفاوتة، وهـــي قريبة ممّا يُسمى بالاستبصار[١١] .

٨. هو جهد علمي منظم يدرس الماضي والحاضر ليتوقع المستقبل من خلال سنن الله في خلقه[١٢] .

٩. الاستشراف فن من الفنون، التي صارت لها أصول علميّة، ونظريات مقررة، وأساليب معتبرة. فالاستشراف يعتمد على أساليب علميّة تقوم على فهم للماضي والحاضر، والعوامل المختلفة ذات الأثر فيها، فهو جهد علمي له أصول تخصّه، ولا علاقة له بالرجم بالغيب[١٣].

الاستشراف مفهوماً: يمكن تحديد مفهوم الاستشراف ((بثلاثة محددات رئيسة:

١. أنّه اجتهاد علمي منظّم.

٢. أنَّه يهدف إلى صياغة رؤية متوقعة.

٣. أنَّ علاقته بالمستقبل علاقة إيجابية))[١٤] ؛ لأنَّ: ((الإحساس بالمستقبل هو نتيجة الإحساس بـ (الآن)، والإحساس بالقلق على المستقبل يعني استنهاض قوة الدفع لقوى الحضارة الآن لأن تعمل بأقصى طاقاتها من أجل تصحيح (الآن) بغية ضمان المستقبل))[١٥].

الاستشراف النبوي: إنَّ الدارس للسيرة النبوية والمحلل لأحداثها لا يمكن له إلا أن يخلص إلى أنَّ الرسول (ﷺ) هو سيد المستشرفين ومعلمهم، لما يتمتع به من اطلاع على الأمور الغيبيّة التي أطلعه الله تعالى عليها، فضلاً عن حكمته وبعد بصيرته وإلمامه بالتاريخ وعلمه بالحاضر المحيط به سواء كان هذا العلم بالأشخاص أم بالمجتمعات أم بالبيئة أم بنفوس أصحابه وأعدائه. فقد اهتم (ﷺ) بالمستقبل أشد اهتمام لعلمه بالفوائد العائدة من هذا العلم ومردود ذلك على مستقبل الأمة.

المبحث الأول

أحاديث الاستشراف التي فيها عبارة (لا تقوم الساعة حتى)

تصدرت هذه العبارة أحاديث كثيرة من أحاديث الاستشراف النبوي، وقد دلت على وجوب تحقق وقوع الأحداث التي ذكرها النبي(ﷺ) في المستقبل، وهذا ما دلَّ عليه ذكر قيام الساعة التي تكون كما هو معروف في آخر الزمان، ولا يماري أحد فيها من المسلمين فهي ثابتة في عقائدهم، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ (طه: ١٥)، ومن هنا فإن تحقق قيام الساعة مرهون بتحقق الأحداث التي أخبر بها النبي(ﷺ)، فعبارة (لا تقوم الساعة) كناية عن تحقق وقوع هذه الأحداث. هذا فضلاً عن ذكر حرف (حتى)[١٦] في هذا السياق، وهو هنا للغاية[١٧]،إلا أنَّ استعماله في الغاية يختلف عن (إلى)، فإنَّ (إلى) أمكن في الغاية من (حتى) وأعم[١٨]، وإيضاح ذلك أنَّ (إلى) تُستعمل لعموم الغايات سواء كانت آخر جزء من الشيء أم لا. فتقول: (نمت إلى آخر الليل، ونمت إلى الصباح، ونمت إلى ثلث الليل، ونمت إلى نصف الليل) و(قرأت الكتابَ إلى آخره، وقرأت الكتاب إلى نصفه، وقرأت الكتاب إلى ثلثه). ،أمّا (حتى) فلا تُستعمل إلا لما كان آخراً أو مُتّصلاً به، فتقول: (نمت حتى آخر الليل، ونمتُ حتى الصباح)؛ لأنَّ آخر الليل هو آخر جزء من الليل، والصباح ملاقٍ لآخره أي متصل بآخره، ولا يجوز أن تقول: (نمت حتى منصف الليل، ونمت حتى ثلثه)؛ لأن

منتصف الليل ليس آخر الليل، وكذلك ثلثه. فـ(حتى) غاية لآخر الأمر، ولفظها يوحي بهذا المعنى، فإنَّ لفظها يبدو أنه من (الحتّ)، ومعنى (الحتّ): الاستئصال والإزالة والخلوص إلى النهاية، أي الوصول إلى نهاية الأمر.[١٩]و(حَتَّى)، (فَعْلَى)، من الحَتِّ، وهو الفَرَاغُ من الشَّيْءِ[٢٠]، ولذا لم يقل النبيُّ(ﷺ): (لا تقوم الساعة إلى أن ...).

وفيما يأتي نماذج من هذه الأحاديث الشريفة:

١. عن أبي هريرة(رضي الله عنه) قال: قال النبي(ﷺ):((لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل القتل حتى يكثر فيكم المال فيفيض))[٢١].

٢. عن أبي هريرة(رضي الله عنه) قال : قال النبي (ﷺ): ((لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي))[٢٢].

٣. عن أبي هريرة(رضي الله عنه): عن رسول الله(ﷺ) قال: ((لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله))[٢٣].

٤. عن أبي هريرة(رضي الله عنه): قال رسول الله(ﷺ): ((لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر))[٢٤].

٥. عن أبي هريرة(رضي الله عنه): عن النبي(ﷺ) قال: ((لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما كأن وجوههم المجان المطرقة))[٢٥] .

٦. عن أبي هريرة(رضي الله عنه): عن النبي(ﷺ) قال: ((لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه))[٢٦].

٧. عن أبي هريرة(رضي الله عنه) قال: قال رسول الله(ﷺ): ((لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها فذاك حين ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾))[٢٧].

٨. عن أبي هريرة(رضي الله عنه): عن النبي(ﷺ) قال: ((لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه))[٢٨].

٩. عن أبي هريرة(رضي الله عنه): عن النبي(ﷺ) قال: ((لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع)) . فقيل يا رسول الله كفارس والروم ؟ فقال: ((ومن الناس إلا أولئك))[٢٩].

وقد وردت عبارة (ولتقومنَّ الساعة) في أحاديث أخرى بعد لفظة (لا تقوم الساعة) من باب التوكيد اللفظي والتركيز على ما سيذكر بعدها من أحداث تمثل انشغال الناس عن الساعة بأمور حياتهم اليومية، وفي هذا كناية عن أن الساعة تأتي بغتة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ

مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾(الأعراف: ١٨٧)، وقوله تعالى:﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (الزخرف: ٦٦)، ومما يزيد الأمر تأكيداً أيضاً أنَّ العبارة نفسها جاءت مُؤَكَّدة بلام التوكيد ونون التوكيد الثقيلة، وذلك في قول النبي(ﷺ):

١. عن أبي هريرة(رضي الله عنه): أن رسول الله(ﷺ) قال: ((لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة . وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل . وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به . وحتى يتطاول الناس في البنيان . وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه . وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس – يعني – آمنوا أجمعون فذلك حين ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾. ولتقومنَّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه . ولتقومنَّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه . ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومنَّ الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها))[٣٠].

٢. عن أبي هريرة (رضي الله عنه): أن رسول الله(ﷺ) قال: ((لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾. ولتقومَنَّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومنَّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومنَّ الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومنَّ الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها))[٣١].

المبحث الثاني
أحاديث الاستشراف التي فيها عبارة (يوشك أن):

تصدرت هذه العبارة مجموعة من أحاديث الاستشراف النبوي، ودلت على قرب وقوع الأحداث التي ذكرها النبي(ﷺ) في المستقبل، ويدل على ذلك معنى كلمة (يوشك)، الذي يشير إلى قرب وسرعة وقوع الحدث، فالوَشِيك السريع، وأَمْرٌ وَشِيكٌ سريع [٣٢] ، وعجبت من وشك ذلك الأمر، أي: من سرعته، ووشك البين: سرعة الفراق. وخرج وشيكا، أي: سريعا. وامرأة وشيك. وقد أوشك فلان يوشك إيشاكا، أي أسرع السير[٣٣]. ولذا نرى أن الأحداث المستشرفة في هذه الأحاديث

قد وقع معظمها ، فضلاً عن أنَّ إيثار صيغة المضارع في الفعل (يوشك) تدل على تكرار وقوع هذه الأحداث مرة بعد مرة، ومن هذه الأحاديث:

١. عن أبي هريرة(ﷺ) أنه قال: قال رسول الله(ﷺ): ((يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوما في أيديهم مثل أذناب البقر يغدون في غضب الله ويروحون في سخط الله)) [٣٤]. ولا تخفى هنا دلالة قوله(ﷺ): ((إن طالت بك مدّة)) على سرعة وقوع هذا الحدث وذلك أن عمر الإنسان مهما طال فهو قصير؛ وذلك أنَّ الخطاب هنا موجه إلى فردٍ معيَّنٍ من الصحابة.

٢. عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ(ﷺ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(ﷺ): ((يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ قَالَ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ قَالَ قُلْنَا وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)) [٣٥].

٣. عَنْ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(ﷺ): ((يُوشِكُ أَنْ يَمْلَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَيْدِيَكُمْ مِنْ الْعَجَمِ ثُمَّ يَكُونُوا أُسْدًا لَا يَفِرُّونَ فَيَقْتُلُونَ مُقَاتِلَتَكُمْ وَيَأْكُلُونَ فَيْئَكُمْ)) [٣٦].

٤. عن أبي نضرة قال: كنا عند جابر بن عبد الله فقال: يوشك أهل العراق ألا يجبى إليهم قفيز ولا درهم قلنا من أين ذاك ؟ قال من قبل العجم يمنعون ذاك ثم قال يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مدي قلنا من أين ذاك ؟ قال من قبل الروم ثم أسكت هنية ثم قال: قال رسول الله(ﷺ): ((يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا لا يعده عددا))، قال: قلت لأبي نضرة وأبي العلاء: أتريان أنه عمر بن عبدالعزيز؟ فقالا: لا [٣٧].

أما ورود كلمة (يوشك) في أحاديث تدل على وقوع أحداث في آخر الزمان فإن دلالة الفعل (يوشك) هنا يُشير إلى تقارب الزمان وسرعة انقضاء الدنيا وقرب قيام الساعة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ ﴾(النحل: ٧٧).وذلك أنَّ الزمن إمّا أن يكون مُعاشاً وهو الزمن الحقيقي، أو يكون محسوساً؛ وذلك أن الإنسان يشعر أحياناً بطول وثِقل الزمن رغم قصره، والعكس. ومن هذه الأحاديث:

١. عن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله(ﷺ): ((يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا)) [٣٨].

٢. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(ﷺ)عَنْ النَّبِيِّ(ﷺ) قَالَ: ((يُوشِكُ مَنْ عَاشَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِمَامًا مَهْدِيًّا وَحَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا)) [٣٩].

المبحث الثالث

أحاديث الاستشراف التي فيها عبارة (في آخر الزمان):

وردت هذه العبارة في كثير من أحاديث الاستشراف، لتدل على وقوع أحداث تكون علامة على انقضاء الزمان ووصوله إلى نهايته مع اقتراب الساعة، وتصدر العبارة حرف الجر (في) الذي يدل على الظرفية الزمانيّة[٤٠]، وتُسبق هذه العبارة غالباً بفعل مضارع مثل: (يكون في آخر الزمان)، (يخرج في آخر الزمان)، (يأتي في آخر الزمان). لينقل هذا التركيب دلالة الفعل المضارع إلى المستقبل تنصيصاً؛ لاقترانه بما يدل على الاستقبال[٤١]، وتقديم الفعل هنا للاهتمام بالحدث دون الالتفات إلى زمن وقوعه، ومن هذه الأحاديث:

١. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ(ﷺ) عَنْ النَّبِيِّ(ﷺ) قَالَ: ((يَكُونُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَخْضِبُونَ بِهَذَا السَّوَادِ قَالَ حُسَيْنٌ كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ)) [٤٢].

٢. عن عَلِيٍّ(ﷺ) أنه قال : إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ(ﷺ) حَدِيثًا فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّمَا الْحَرْبُ خُدْعَةٌ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ(ﷺ) يَقُولُ: ((يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) [٤٣].

٣. عَنْ سَهْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ(ﷺ) قال: ((لَا تَزَالُ الْأُمَّةُ عَلَى الشَّرِيعَةِ مَا لَمْ يَظْهَرْ فِيهَا ثَلَاثٌ: مَا لَمْ يُقْبَضْ الْعِلْمُ مِنْهُمْ، وَيَكْثُرْ فِيهِمْ وَلَدُ الْحِنْثِ، وَيَظْهَرْ فِيهِمْ الصَّفَّارُونَ، قَالَ: وَمَا الصَّفَّارُونَ أَوْ الصَّفْلَاوُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بَشَرٌ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ تَحِيَّتُهُمْ بَيْنَهُمْ التَّلَاعُنُ)) [٤٤].

٤. عَنْ مُعَاذٍ أَنَّ النَّبِيَّ(ﷺ) قَالَ: ((يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ إِخْوَانُ الْعَلَانِيَةِ أَعْدَاءُ السَّرِيرَةِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ قَالَ ذَلِكَ بِرَغْبَةِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ وَرَهْبَةِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ)) [٤٥].

وقد يأتي الفعل أحياناً بعد عبارة (في آخر الزمان)، وفي هذا التأخير اهتمام بالمتقدم للدلالة على بُعْدِ زمنِ وقوع هذا الحدث، كما في حديث النبي(ﷺ)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(ﷺ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(ﷺ): ((فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَظْهَرُ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ عَلَى الْكَعْبَةِ قَالَ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ فَيَهْدِمُهَا)) [٤٦].

المبحث الرابع

أحاديث الاستشراف التي فيها عبارة (لا يُدركني زمانٌ) أو (لا تدركوا زماناً):

وردت هذه العبارة في حديث للنبي(ﷺ) جاء بصيغة الدعاء الذي خرج إلى التمني، والذي يحمل في طياته التحذير من أمور ستشهدها الأمة. فعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ(ﷺ) قَالَ: ((اللَّهُمَّ لَا يُدْرِكْنِي زَمَانٌ أَوْ لَا تُدْرِكُوا زَمَانًا لَا يُتْبَعُ فِيهِ الْعَلِيمُ وَلَا يُسْتَحَى فِيهِ مِنْ الْحَلِيمِ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْأَعَاجِمِ وَأَلْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ الْعَرَبِ)) [٤٧]. وقد أفاد الدعاء هنا تأكيد وقوع الحدث؛ لأنَّ الدعاء كان لطلب عدم الإدراك وليس لطلب عدم وقوع الحدث، فضلاً عن أنَّ تنكير (زمانٌ، وزماناً) جاء العدم الحصر

والإطلاق والتعميم[٤٨]، وأفاد إيثار صيغة المضارعة في الأفعال (يدركني) و (تُدركوا) التجدد والحدوث؛ أي أن هذا الأمر سيتكرر وقوعه في أزمان كثيرة بعد الرسول(ﷺ) .

المبحث الخامس

أحاديث الاستشراف التي فيها عبارة «يأتي على الناس زمان» و«ليأتِيَنَّ على الناس زمانٌ» و«سيأتي زمان»:

تصدرت هذه العبارة حديث للنبي(ﷺ) أخبر فيه عن حال الناس في زمن قابل لا يفرقون فيه بين الحلال والحرام، فعن أبي هريرة(رضي الله عنه) عن النبي(ﷺ) قال:" ((يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام))[٤٩]. فقد أفادت عبارة (يأتي على الناس زمان) تحقق وقوع هذا الأمر وحتميّة حصوله؛ وذلك أنَّ دلالة الفعل (يأتي) تفيد أن الإتيان فيه سهوله ويُسر، بعكس دلالة الفعل (يجيء) التي تدل على أنَّ المجيء فيه عناء ومشقة[٥٠]، ولذا لم يقل النبي(ﷺ): ((يجيء على الناس زمانُ)). وقد جاء الخبر هنا خبراً ابتدائيّاً خالياً من المؤكدات باعتبار المخاطب غير متردد ولا منكر له؛ وذلك أنَّ المخاطبين هم من الصّحابة الكرام (رضوان الله عليهم) ممّن لا يليق بحقهم شكٌّ ولا إنكار، كما دلّت العبارة على وقوع الحدث في المستقبل لاقتران الفعل المضارع بما يدل على الاستقبال[٥١]، وأفاد تنكير (زمانٌ) عدم الحصر والإطلاق والتعميم[٥٢]،وأفاد إيثار صيغة المضارعة في الفعل (يأتي) التجدد والحدوث؛ أي أن هذا الأمر سيتكرر وقوعه في أزمان كثيرة بعد الرسول(ﷺ).

وقد تصدَّر الفعل المضارع (ليأتيَنَّ) المؤكد باللام وبنون التوكيد الثقيلة طائفةً من أحاديث الاستشراف النبوي، وأفاد توكيد الفعل هنا بأكثر من أداة تقوية الخبر رغم أن المخاطبين من الصحابة غير شاكين ولا مترددين في الخبر، من باب تنزيل غير المنكر منزلة المنكر[٥٣]؛ لإفادة تحقق وقوع الحدث. ومن هذه الأحاديث:

١. عن أبي موسى(رضي الله عنه): عن النبي(ﷺ) قال: ((ليأتيَنَّ على الناس زمانٌ يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجدُ أحداً يأخذها منه، ويُرى الرجلُ الواحدُ يتبعه أربعون امرأة يلُذْنَ به من قلة الرجال وكَثرةِ النساءِ))[٥٤].

٢. عن أبي هريرة(رضي الله عنه) قال: قال النبي(ﷺ): ((والذي نفسي بيده ليأتيَنَّ على الناس زمانٌ لا يدري القاتل في أي شيء قَتَلَ، ولا يدري المقتول على أي شيء قُتِلَ))[٥٥].

ووردت عبارة (وسيأتي زمان) في حديث آخر للنبي(ﷺ) أخبر فيه عن حال الناس في تعلم القرآن الكريم، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ(رضي الله عنه) عَنْ النَّبِيِّ(ﷺ) أَنَّهُ خَرَجَ إِلَيْنَا فَقَالَ: ((إِنَّ فِيكُمْ خَيْرًا مِنْكُمْ يَعْنِي

رَسُــولَ اللَّهِ (ﷺ) وَتَقْرَءُونَ كِتَابَ اللَّهِ عَــزَّ وَجَــلَّ فِيكُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَــضُ وَالْعَرَبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ، وَسَيَأْتِــي زَمَانٌ يَقْرَءُونَ فِيهِ الْقُرْآنَ يَتَثَقَّفُونَهُ كَمَا يَتَثَقَّفُ الْقَدَحُ يَتَعَجَّلُونَ أُجُورَهُمْ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهَا)) [٥٦].

فقد اقترن الفعل المضارع هنا بالسين (سيأتي) وهو حرف تنفيس يمحّض الفعل المضارع للاستقبال ولدلالة على الزمن القريب[٥٧]. فضلاً عن إفادة السين لتوكيد الفعل المضارع، وفي هذا تقوية للخبر رغم أن المخاطبين من الصحابة غير شاكين ولا مترددين في الخبر. كما ورد الفعل (سيأتي) في حديث آخر لوحده دون ذكر الزمان فيه؛ لأن الخبر كان عن أُناسٍ من أمة محمد(ﷺ) بشّر بهم النبي(ﷺ). فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي(ﷺ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(ﷺ) ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ عِنْدَهُ: ((طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ فَقِيلَ: مَنْ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ أُنَاسٌ صَالِحُــونَ فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ)). قَالَ: وَكُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ(ﷺ) يَوْمًا آخَرَ حِينَ طَلَعَتْ الشَّمْسُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ(ﷺ): ((سَيَأْتِي أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُورُهُمْ كَضَوْءِ الشَّمْسِ. قُلْنَا: مَنْ أُولَئِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَــالَ: فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَالَّذِينَ تُتَّقَى بِهِــمْ الْمَكَارِهُ يَمُــوتُ أَحَدُهُــمْ وَحَاجَتُهُ فِــي صَــدْرِهِ يُحْشَرُونَ مِــنْ أَقْطَــارِ الْأَرْضِ)) [٥٨]. وقد خرج هذا الخبر إلى التنشيط وتحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله، وهذا من أغراض الخبر المجازيّة[٥٩]. فضلاً عن أنَّ تنكير (أناسُ) جاء للتعظيم.

المبحث السادس

أحاديث الاستشراف التي فيها عبارة (كيف بكم) و (كيف بك):

تصدرت عبارة (كيف بكم) طائفة من أحاديث الاستشراف التي أخبرتنــا عــن أمــور ســتقع وستدركها الأمة عاجلاً أم آجلاً، وقد جاءت هذه الأحاديث خطاباً للأمة ولكل من يصلح له الخطاب. و(كيف)، للسؤال عن الحال[٦٠]. وتأتي للاستفهام الحقيقي والمجازي[٦١]. وهنــاك أغــراض كثيــرة للاستفهام المجازي بــ(كيف) منها التهويل والتعظيم، وهو الغرض الذي خرج إليه الاســتفهام فــي أحاديث الاستشراف، فقد أوجز في لفظ (كيف) التعبير عن تلك الحالة التي ستكون عليها الأمة عنــد وقوع الأحداث المُستَشرفة. ومن هذه الأحاديث:

١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(ﷺ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(ﷺ): ((كَيْفَ بِكُمْ إِذَا نَزَلَ بِكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّكُمْ أَوْ قَــالَ إِمَامُكُمْ مِنْكُمْ)) [٦٢].

٢. عن عمرو بن ميمون الأودي قال: قدم علينا معاذ بن جبل اليمن رسول رسول الله(ﷺ) إلينا قال: فسمعت تكبيره مع الفجر رجل أجش الصوت، قال: فألقيت عليه محبتي فما فارقته حتى دفنته بالشام ميتا، ثم نظرت إلى أفقه الناس بعده فأتيت ابن مسعود فلزمته حتى مات، فقــال: قــال لــي رســول الله(ﷺ): ((كيف بكم إذا أتت عليكم أمراءٌ يصلون الصلاةَ لغير ميقاتها)) ؟ قلت: فمــا تــأمرني إن أدركني ذلك يا رسول الله ؟ قال: ((صل الصلاة لميقاتها واجعل صلاتك معهم سبحة)) [٦٣].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص(ﷺ): أن رسول الله(ﷺ) قال: ((كيف بكم وبزمان أو يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلة تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا، وشبّك بين أصابعه فقالوا: كيف بنا يا رسول الله ؟ قال: تأخذون ما تعرفون وتذرون ما تنكرون وتقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر عامتكم)) [٦٤].ووردت عبارة (كيف بك) في أحاديث أخرى للنبي(ﷺ)، جاءت خطاباً لفرد معيّن من الصحابة؛ ولذا امتازت هذه الأحداث بسرعة وقوعها في الغالب لأنها تُحدِّث عن أمور تقع في حياتهم وسيشهدونها، ومن هذه الأحاديث:

١. عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ(ﷺ): أَنَّ النَّبِيَّ(ﷺ) قَالَ: ((كَيْفَ بِكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِذَا كَانَ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُضَيِّعُونَ السُّنَّةَ وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مِيقَاتِهَا قَالَ كَيْفَ تَأْمُرُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ تَسْأَلُنِي ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ كَيْفَ تَفْعَلُ! لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) [٦٥].

٢. عَنْ ابْنِ عُمَرَ(ﷺ) قَالَ: لَمَّا فَدَعَ أَهْلُ خَيْبَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَامَ عُمَرُ خَطِيبًا فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ عَامَلَ يَهُودَ خَيْبَرَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَقَالَ: نُقِرُّكُمْ مَا أَقَرَّكُمُ اللَّهُ وَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ خَرَجَ إِلَى مَالِهِ هُنَاكَ فَعُدِيَ عَلَيْهِ مِنْ اللَّيْلِ فَفُدِعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ وَلَيْسَ لَنَا هُنَاكَ عَدُوٌّ غَيْرَهُمْ هُمْ عَدُوُّنَا وَتُهْمَتُنَا وَقَدْ رَأَيْتُ إِجْلَاءَهُمْ فَلَمَّا أَجْمَعَ عُمَرُ عَلَى ذَلِكَ أَتَاهُ أَحَدُ بَنِي أَبِي الْحُقَيْقِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتُخْرِجُنَا وَقَدْ أَقَرَّنَا مُحَمَّدٌ(ﷺ) وَعَامَلَنَا عَلَى الْأَمْوَالِ وَشَرَطَ ذَلِكَ لَنَا، فَقَالَ عُمَرُ: أَظَنَنْتَ أَنِّي نَسِيتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ(ﷺ): ((كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْ خَيْبَرَ تَعْدُو بِكَ قَلُوصُكَ لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ))، فَقَالَ: كَانَتْ هَذِهِ هُزَيْلَةً مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ، قَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ فَأَجْلَاهُمْ عُمَرُ وَأَعْطَاهُمْ قِيمَةَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ الثَّمَرِ مَالًا وَإِبِلًا وَعُرُوضًا مِنْ أَقْتَابٍ وَحِبَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ [٦٦].

٣. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(ﷺ): أَنّ رَسُولَ اللَّهِ(ﷺ) قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بن عَمْرٍو: ((كَيْفَ بِكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِذَا بَقِيَتَ فِي حُثَالَةٍ، قَدْ مَرَجَتْ أَمَانَاتُهُمْ وَعُهُودُهُمْ، فَاخْتَلَفُوا وَكَانُوا هَكَذَا))، وَأَدْخَلَ أَصَابِعَهُ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَكَيْفَ تَأْمُرُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: ((تَعْمَلُ بِمَا تَعْرِفُ، وَتَدَعُ مَا تُنْكِرُ، وَتَعْمَلُ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَتَدَعُ عَنْكَ عَوَامَّ النَّاسِ)) [٦٧].

٤. عن أنيسة بنت زيد بن أرقم عن أبيها : أن النبي(ﷺ) دخل على زيد بن ارقم يعوده من مرض كان به قال: ((أليس عليك من مرضك هذا بأس ولكن كيف بك إذا عمرت بعدي فعميت ؟))، قال: إذن أحتسب وأصبر قال: ((إذن تدخل الجنة بغير حساب))، قال: فعمي بعدما مات النبي(ﷺ) ثم رد الله عليه بصره ثم مات رحمه الله [٦٨].

٥. عن عائشة(رضي الله عنها) قالت : لما كان يوم أم حبيبة من النبي دق الباب داق فقال النبي(ﷺ): ((أنظروا من هذا))، قالوا معاوية، فقال: ((ائذنوا له)) ودخل وعلى أذنه قلم له يخط به، فقال: ((ما هذا القلم على أذنك يا معاوية؟))، قال: أعددته لله ولرسوله، قال: ((جزاك الله عن نبيك خيرا والله ما استكتبتك إلا بوحي من الله عز و جل وما أفعل من صغيرة ولا كبيرة إلا بوحي من الله عز و جل،

كيف بك لو قد قمَّصك الله قميصا)) يعني الخلافة، فقامت أم حبيبة فجلست بين يديه فقالت: يا رسول الله وإن الله مقمِّص أخي قميصاً؟ قال: ((نعم، ولكن فيه هنات وهنات وهنات)) فقالت: يا رسول الله فادع له، فقال: ((اللهم أهده بالهدى وجنبه الردى واغفر له في الآخرة والأولى)) [٦٩].

المبحث السابع

أحاديث الاستشراف التي فيها عبارة (إنها ستكون):

تصدَّرت عبارة (إنَّها ستكون) طائفة من أحاديث الاستشراف، وجاءت العبارة مؤكَّدة بمؤكدين هما (إنَّ) و (ألسين)، لتدلل على خطورة وأهمية الأحداث المُستَشرفة وحتميّة وقوعها، فضلاً عن إنزال المخاطَب منزلة غير المنكر لإفادة التوكيد وهو ما يسميه أهل البلاغة بالخروج عن مقتضى الظاهر[٧٠] ، وذلك أنَّ المخاطبين هنا هم صحابة رسول الله(ﷺ) ممن لا يليق بحقهم شك ولا إنكار. فضلاً عن دلالة الفعل المضارع على الاستقبال لاتصاله بالسين التي تمحِّض الفعل المضارع للاستقبال والدلالة على الزمن القريب[٧١]. ومن هذه الأحاديث:

١. عن عبادة بن الصامت(رضي الله عنه) قال: قال رسول الله(ﷺ): ((إنها ستكون عليكم بعدي أمراء تشغلهم أشياء عن الصلاة لوقتها حتى يذهب وقتها فصلوا الصلاة لوقتها))، فقال رجل: يا رسول الله أصلي معهم ؟ قال:(نعم إن شئت)، وقال سفيان: إن أدركتها معهم أأصلي معهم قال:(نعم إن شئت) [٧٢].

٢. عن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله(ﷺ): ((إنّها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خيراً من الجالس، والجالس خيراً من القائم، والقائم خيراً من الماشي، والماشي خيراً من الساعي))، قال: يا رسول الله ما تأمرني ؟ قال: ((من كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه))، قال: فمن لم يكن له شيء من ذلك ؟ قال: ((فليعمد إلى سيفه فليضرب بحده على حرة ثم لينج ما استطاع النجاء)) [٧٣].

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد..في ختام بحثي هذا أود أن أُجمل أهم نتائجه فيما يأتي:

١. تميزت أحاديث الاستشراف المدروسة بألفاظٍ محددة تكررت فيها.

٢. دلّت هذه الألفاظ وفق معانيها أو وفق سياقاتها على حتميّة وقوع الأحداث التي استشرفها النبي(ﷺ).

٣. هناك إشارات تقريبية في بعض ألفاظ الاستشراف على زمن وقوع الأحداث المُستشرفة، فمنها ما وقع في حياة الصحابة، ومنها ما وقع بعدهم بأزمان قريبة ومتفاوتة، ومنها ما سيقع في آخر الزمان، ومنها ما سيتكرر وقوعه في أزمان عدة مرة بعد مرة.

٤. استُعمِل الأُسلوب الخبري في معظم أحاديث الاستشراف، وهذا ما يُناسب غرض الإخبار والتوصيل، وكثر في طريقة هذه الأخبار الخبر الابتدائي الخالي من المؤكدات؛ ولعلَّ القصد من ذلك، والله أعلم، أن أحاديث الاستشراف ،وإن كانت أحاديث في الغيبيّات إلا أنَّ النبي(ﷺ) تعامل معها وفق البديهيّات والمُسلَّمات التي لا تحتاج إلى توكيد، فضلاً عن علمه بأنه يخاطبُ قوماً مؤمنين يستحيل منهم الشّك أو الإنكار، وهم صحابته الكرام (رضوان الله عليهم) .

٥. أما الأحاديث الشريفة التي اشتملت على مؤكدات، فإنها جاءت لتؤكد أهميّة الأحدث المستشرفة، فضلاً عن حتميّة وقوعها، وليس مراعاة لحال المخاطب من الشكِّ أو الإنكار، وهذا ما يُسميه أهل البلاغة بالخروج عن مقتضى الظاهر؛ وذلك بإنزال غير المنكر منزلة المنكر.

٦. استُعمِل الأسلوب الإنشائي في بعض أحاديث الاستشراف، وجاء بصيغة الاستفهام المجازي (كيف بكم؟)، (كيف بك؟).

٧. شملت أحاديث الاستشراف أحاديث عامة تخص جميع الأمة، وأحاديث خاصة تخص فرداً معيناً من الصحابة.

المصادر والمراجع

١. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن بن حبنّكة الميداني، دار القلم- دمشق، دار الشّاميّة- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٢. البيان والتبيين، أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٣. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) تحقيق مصطفى حجازي، وعبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، د. ط،

٤. التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، د.ت.

٦. الجامع الصحيح المختصر المعروف بـ(صحيح البخاري)، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق وتعليق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة،

٧. الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٨. جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، تعليق وتدقيق سليمان الصالح، دار المعرفة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٩. حروف المعاني، أبو القاسم بن اسحاق الزّجاجي (ت ٣٤٠هـ)، تحقيق وتقديم د. علي توفيق محمد، مؤسسة الرسالة- بيروت، دار الأمل- إربد، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
١٠. الدراسات المستقبلية منظور تربوي، فاروق فلية وأحمد عبد الفتاح، دار المسيرة،
١١. دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، د. محمد ياس خضر الدوري، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
١٢. سنن أبي داؤد، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر، د.ط، د.ت.
١٣. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق محمد زكريا يوسف، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٩٩٠م.
١٤. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
١٥. علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، دار القلم، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.
١٦. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، تحقيق وتعليق عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
١٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٨. معاني الحروف، أبو الحسن علي بن حسين الرُّمّاني، تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السّعودية، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
١٩. معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٢٠. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين- القاهرة، ١٤١٥هـ.
٢١. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ – ١٩٨٣.
٢٢. معجم لغة الفقهاء، الدكتور محمد رواس قلعة جي والدكتور حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٢٣. همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السّيوطي (ت٩١١هـ)، مطبعة السّعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٧هـ.

الرسائل البحوث والمقالات:

١. استشراف المستقبل في الأحاديث النبوية، رسالة ماجستير مقدمة من عبد الرحمن عبد اللطيف قشّوع، إلى كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنيّة، بإشراف الأستاذ الدكتور شرف القضاة، ٢٠٠٥م.

٢. الإسلام والمستقبل، للدكتور جاسم الفارس، مقال منشور على الرابط: (www.kantakji.com).

٣. الإشكاليات والآفاق، عواطف عبد الرحمن، مقال منشور في مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد

٤. دراسة علم الاستشراف، د. سعد بن مطر العتيب، مقال منشور على موقع الألوكة، على الرابط

٥. من معالم الاستشراف والتخطيط المستقبلي في الدعوة في ضوء السنة النبوية (الهجرة إلى الحبشة إنموذجاً)، د. محمد بن عدنان السَّمان، الرياض، ١٤٣٢هـ، شبكة السنة النبوية وعلومها

هوامش البحث

(١) ينظر: من معالم الاستشراف والتخطيط المستقبلي في الدعوة في ضوء السنة النبوية: ٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، ٨٢٦.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس،: ٢٢/ ٤٩٣. مادة .(شرف).

(٤) لسان العرب،: ٩/ ١٦٩. مادة (شرف).

(٥) أثر الاستشراف والتخطيط المستقبلي في العلم ، على الموقع (www.ndffactorv.com): ٤.

(٦) معجم لغة الفقهاء، ٤٣.

(٧) المصدر السابق نفسه.

(٨) الدراسات المستقبلية منظور تربوي،: ٢٩.

(٩) استشراف المستقبل في الأحاديث النبوية، ١١.

(١٠) استشراف المستقبل في الأحاديث النبوية: ١١.

(١١) المصدر السابق نفسه: ١١.

(١٢) استشراف المستقبل في الأحاديث النبوية: ١٢.

(١٣) دراسة علم الاستشراف١٤.

(١٤) من معالم الاستشراف والتخطيط المستقبلي: ٦.

(١٥) من مقال الإسلام والمستقبل، للدكتور جاسم الفارس، (www.kantakji.com).

(١٦)الجنى الداني في حروف المعاني ، ٥٤٢- ٥٥٦.

(١٧) حروف المعاني،: ٦٤.

(١٨) همع الهوامع شرح جمع الجوامع،: ٢٢/٢.

(١٩) معاني النحو،: ٣/ ٣٠.

(٢٠) تاج العروس: ٤/٤٨٥، مادة (حتت).

(٢١) الجامع الصحيح المختصر المعروف بـــ(صحيح البخاري)،: ١/٢٥٠، برقم (٩٨٩).
(٢٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الصدقة قبل الرد: ٢/ ٥١٢، برقم (١٣٤٦).
(٢٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب قتال اليهود: ٣/ ١٠٧٠، برقم (٢٧٦٨).
(٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه: باب قتال الكتب: ٣/ ١٠٧٠، برقم (٢٧٧٠).
(٢٥) أخرجه البخاري في صحيحه، باب قتال الذين ينتعلون: ٣/ ١٠٧١، برقم (٢٧٧١).
(٢٦) أخرجه البخاري في صحيحه، باب ذكر قحطان: ٣/ ١٢٩٦، برقم (٣٣٢٩).
(٢٧) أخرجه البخاري في صحيحه، باب تفسير سورة الأنعام: ٤/ ١٦٩٧، برقم (٤٣٥٩).
(٢٨) أخرجه البخاري ، باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور: ٦/ ٢٦٠٤، برقم (٦٦٩٨).
(٢٩) أخرجه البخاري ، باب قول (ﷺ): ((لتتبعن سنن من كان قبلكم)): ٦/ ٢٦٦٩، برقم (٦٦٩٨).
(٣٠) أخرجه البخاري في صحيحه، باب خروج النار: ٦/ ٢٦٠٥، برقم (٦٧٠٤).
(٣١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب طلوع الشمس من مغربها: ٥/ ٢٢٨٦، برقم (٦١٤١).
(٣٢) لسان العرب، ١٠/ ٥١٣، مادة (وشك).
(٣٣) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية،: ٥/٣٠١، مادة (وشك).
(٣٤) صحيح مسلم: ٤/ ٢١٩٣، برقم (٢٨٥٧).
(٣٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل،٢٧/ ٨٢، برقم (٢٢٣٩٧).
(٣٦) أخرجه أحمد في مسنده: ٣٣/ ٣٠٩، برقم (٢٠١٢٣).
(٣٧) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: ٤/ ٢٢٣٤، برقم (٢٩١٣).
(٣٨) أخرجه البخاري في صحيحه، باب خروج النار: ٦/ ٢٦٠٥، برقم (٦٧٠٢).
(٣٩) أخرجه أحمد في مسنده: ١٥/ ١٨٧، برقم (٩٣٢٣).
(٤٠) الجنى الداني في حروف المعاني،: ٢٥٠؛ وينظر: معاني النحو: ٣/ ٥٠.
(٤١) معاني النحو: ٣/ ٢٨١.
(٤٢) أخرجه أحمد في مسنده: ٤/ ٢٧٦، برقم (٢٤٧٠).
(٤٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب علامات النبوة في الإسلام: ٣/ ١٣٢١، برقم (٣٤١٥).
(٤٤) أخرجه أحمد في مسنده: ٢٤/ ٣٩١، برقم (١٥٦٢٨).
(٤٥) أخرجه أحمد في مسنده: ٣٦/ ٣٧٨، برقم (٢٢٠٥٥).
(٤٦) أخرجه أحمد في مسنده: ١٣/ ٤٥٨، برقم (٨٠٩٨).
(٤٧) أخرجه أحمد في مسنده: رقم (٢٢٨٧٩).
(٤٨) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ٤٠٨- ٤٠٩.
(٤٩) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الطيب للجمعة: ٥/ ٢٢٢، برقم (٢٠٥٩).

(٥٠) ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، ٢٠٠- ٢٠١.

(٥١) معاني النحو: ٣/ ٢٨١.

(٥٢) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٤٠٨- ٤٠٩.

(٥٣) ينظر جواهر البلاغة، ٥٩.

(٥٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الطيب للجمعة: ٣/ ٤٢٦، برقم (١٤١٤).

(٥٥) أخرجه مسلم في صحيحه، باب لا تقــوم الســاعة ٤/ ٣٢٢١، برقم (٢٩٠٨).

(٥٦) أخرجه أحمد في مسنده: ٢٠/ ٣٩، برقم (١٢٥٨١).

(٥٧) معاني الحروف، ١٩٨١م: ٤٢- ٤٣.

(٥٨) أخرجه أحمد في مسنده: ١١/ ٢٣٠، برقم (٦٦٥٠).

(٥٩) ينظر: علوم البلاغة،: ٤٦.

(٦٠) حروف المعاني: ٥٩.

(٦١) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم،١/ ١٥٨-١٥٩.

(٦٢) أخرجه أحمد في مسنده: ١٣/ ١٠٨، برقم (٧٦٨٠).

(٦٣) أخرجه أحمد في مسنده: ٣٦/ ٣٥٠، برقم (٢٢٠٢٠).

(٦٤) سنن أبي داؤد، باب الأمر والنهي: ٢/ ٥٢٧، برقم (٤٣٤٢).

(٦٥) أخرجه أحمد في مسند: ٦/ ٤٣٢، برقم (٣٨٨٩).

(٦٦) أخرجه البخاري في صحيحه، باب إذا اشترط في المزارعة: ٢/ ٩٧٣، برقم (٢٥٨٠).

(٦٧) المعجم الكبير، ٦/ ١٩٦، برقم (٥٩٨٤).

(٦٨) أخرجه الطبراني في معجمه: ٢١١/٥، برقم (٥١٢٦).

(٦٩) المعجم الأوسط،: ٢٣٣/٢، برقم (١٨٣٨).

(٧٠) ينظر جواهر البلاغة: ٦٠.

(٧١) معاني الحروف،: ٤٢- ٤٣.

(٧٢) أخرجه أبو داؤد في سننه، باب إذا أخر الإمام الصلاة عن الوقت: ١/ ١٧١، برقم (٤٣٣).

(٧٣) أخرجه أبو داؤد في سننه، باب النهي عن السعي في الفتنة: ٥٠٠/٢، برقم (٤٢٥٦).